

## قراءة في صحبة الكتب

2020-09-02 فراس زوين

"أنا قارئ أنتمي إلى تلك الفئة من الناس الذين يقرأون في أي مكان وزمان، أحمل الكتاب معي أينما أذهب، ويعرف أصدقائي أنني شخص موثوق عندما يحتاجون إلى ترشيح لكتاب يقرؤونه، أو عندما لا يمكنهم تذكر من هو مؤلف الكتاب الفلاني وكم طبعة صدرت له، إن حياتي العملية شديدة التداخل مع محبتي للقراءة لدرجة أنني لا أستطيع الفصل بين الاثنين، وشخصيتي هي نتاج الجمع بين كل شخصيات الكتب التي أحببتها، أصبحت جزءاً من ذاكرتي".... الكاتب والصحفي العراقي علي حسين.

### #في\_صحبة\_الكتب

في هذه الاسطر قراءتي الشخصية لواحد من اكثر الكتب فائدة ومنتعة للقارئ العربي، "في صحبة الكتب".. للكاتب والصحفي العراقي "علي حسين" والذي يقع في (271) صفحة ويضم مجموعة مقالات أشبه بالسيرة الذاتية لثلاثين من ارباب الفكر العلمي والفلسفي والفن والرواية الكلاسيكية والحديثة، بعد ان يدرج قائمة بمائة كتاب استمتع بصحبتهم، وقائمة اخرى بعشرة كتب لم يستطع ان يفك لغزها حتى هذه اللحظة، عاش برفقة هذه الكتب حياته ومعظم ذكرياته، التي شكلت تجاربه بأكملها، بل انها كانت جزء من شخصيته، التي تمثل بقدر كبير تداخل شخوص الكتب وعوالمها وهمومها واسرارها حتى غدت محور حياته كلها، من خلال مهنته ككاتب وصحفي.

### مقدمة الكتاب

في البداية سيكون القارئ امام المقدمة الغريبة التي يذكر فيها "علي حسين" بتواضع الواثق من نفسه انه ليس سوى قارئ عادي... كما في النص التالي "لست باحثاً متخصصاً في القراءة، او خبيراً في شؤون الكتب والمكتبات، وانما قارئ مثل ملايين القراء الذين تصادفونهم في معارض الكتب" !!

وهل ارضى لغرور القارئ من ان يكون كاتب بتاريخ "علي حسين" الادبي والمسرحي وثرائه المعرفي والفلسفي وسنوات عمله في ميدان الصحافة التي تجاوزت الأربعين عاماً، متاحاً للنقد بمستوى القارئ العادي؟؟؟ فلا خجل ولا وجل في ان نقول ما يحلو لنا، ضمن حدود الادب وخارج أسس النقد الموضوعي، فما هو سوى قارئ عادي لا يملك حصانة الكبار.

لعمري ما هذا سوى فخ ينصبه صياد ماهر، يغري من خلاله القراء للدخول الى عوالم الكتب التي اختارها المؤلف بعناية فائقة، ليأخذه الى عوالم الفلسفة واسئلتها الخالدة، مروراً بالرواية الكلاسيكية والحديثة، والترجمة، والادب، والفنون، والفيزياء، وكل ما هو كفيلاً بان يجعلك تعيد النظر في الطريقة التي كنت تقرأ بها، ويضعك على الطريق الصحيح للإجابة على السؤال الجوهرى كيف وماذا نقرأ؟؟

ولكن هل الكاتب "علي حسين" قارئ عادي مثل ملايين القراء العاديين؟؟؟ سترك هذا لسعيد الحظ الذي يقرر ان يجيب بنفسه، وهو يقلب صفحات هذا الكتاب.

## ثمن المعرفة

في اثناء قراءة الكتاب رافقني سؤال، كم عانى المؤلف من عذابات الكتب التي تناولها بالسرد؟ وعن الجرأة اللازمة ليرضى فعلاً لروحه وذاته ان تصلب على خشبة الوعي والادراك ليصل الى الفهم الذي يمكنه من اختزال المعرفة العلمية والفلسفية والأدبية في ثلاثين موضوعاً يتناول في كل فصل جانب من جوانب التطور الانساني، مع ابطالها الذين عانو من الم الحقيقة وجراحها، وما هذا بالأمر الهين واليسير ففيه تعمى العيون التي تحرق في شمس الحقيقة المحرقة كما وصفها من قبل تولستوي وفريدريك نيتشه.

يأخذ "علي حسين" القارئ في جولة بطائرة ورقية صنعها من صفحات الكتب والروايات بين الاغصان المتشابكة على أشجار المعرفة التي لا تنبت الا في الشاهقات من الجبال، وعلى القارئ في رحلته ان يتقن الطيران والتنقل في سماء الفن والادب فمن قلاع الرواية الى ابراج الفلسفة ومن بحور الشعر الى حصون الفيزياء، ومن سارتر الى دارون ومن سلفادور دالي الى اينشتاين ومن تولستوي الى طه

حسين ومن دوستيفسكي الى انيس زكي حسن، ومن هيمنجواي الى ستانداي برفقة فلوبيير وتوليستوي وكافكا ونيثشة والعديد ومن الأسماء والكتب التي لن يقف القارئ عندها، فما هذا الكتاب سوى دعوة الى المزيد من القراءة.

## رأس الخيط

ان تمسك رأس الخيط هو ما يحاول ان يفعله كل متتبع اثر او فكرة، وهذا ما سيفعله القارئ مع هذا الكتاب، ولكن بعد عدة صفحات سيكتشف القارئ انه لن يصل برأس الخيط الواحد الى أي مكان، فإن الكاتب سينسج بساطه السحري بخيوط عديدة من خيال الفلاسفة والادباء والفنانين والعلماء والنقاد والمترجمين، ولكل منهم حكاية، ولكل حكاية فكرة، ولكل فكرة خيط، وفي النهاية سيجد القارئ نفسه امام نسيج من الخيوط التي ان أراد ان يمسك طرفها فعليه ان يقبض بيده على حزمة من عشرات الخيوط تقوده الى عوالم اجمل واروع من واقعا المر.

في صفحات الكتاب وموضوعاته المتعددة، وبين الثنايا والسطور محاولات جريئة وبارعة من قارئ عتيق وكاتب عتيد لتهوين الصعاب، وتقريب البعيد وتبسيط المعقد والشائك، ولعل هذا الامر يبدوا واضحاً وجلياً في العديد من الفصول التي تعتمد فيها الكاتب اختزال الفكرة والكلمة وضغطها في سطور معدودة بعد ان زينها بما يغري الاخرين على ملاحقتها وتتبع اثرها.

لقد تناول اعقد كتب الفلسفة واروع كتب الادب مثل كتاب رأس المال والمقامر ورواية السيدة دالواي ويوليسيس واللامنتمي والعديد غيرها ممن ساهمت بشكل كبير بتشكيل العالم الادبي والمعرفي والفلسفي بل وحتى السياسي كما نراه ونعرفه اليوم، ولعل براعة الكاتب تتجلى في قدرته الفريدة على تهوين واغراء القارئ مهما كان بسيطاً او مبتدئاً ان يلج غمارها ويطوف في عوالمها ويكتوي بنار العديد منها.

## في الختام

قد لا اكون مختصاً بالنقد الادبي ولست ادعي معرفة واسعة بالقراءة النقدية للأعمال الادبية او

الروائية او الفلسفية، ولكن انطلاقاً من حق القارئ في ان يكون له انطباعه الذاتي وفهمه الخاص لما يقرأ، كتبت عن هذا الكتاب الذي لا تكمن اهميته في فكرته بقدر اسلوبه الشيق والمبسط في عرضه مواضيع الادب والفكر والفلسفة التي تتصف بالغموض والتعقيد بطريقة تقرب هذه الاعمال الى مستوى الفهم العام، وتؤسس لمنهج القراءة الصحيح والمجدي، التي يختار من خلالها القارئ بحكمة كتابه وكاتبه في الوقت الذي اختلط فيه الغث والسمين.

ولا شك ان هذا الكتاب ذا قيمة عالية للقارئ على مختلف طبقاته، وبالرغم الأفكار التي ستواجه القارئ والتي تختلف وجوهها باختلاف زوايا النظر اليها، واختلاف شخوصها، ولكنه ما ان يغمض عينه حتى يراها واحدة مترابطة وملتصقة في طريق واحد يؤدي الى الفكر المتنور الواعي.

.....

\* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية